الان بدأ الفلاحون يعلمونه ... ما لم يتعلمه في المدرسة ، ما لم يتعلمه في الكتاب ، وفوق اللوح الاسود ... كان يسمعهم يتحدثون وهم يتأوهون عن ايام زمان ... حينما كان الباعة في أسواق بئر السبع وغزة ويافا ... يصيحون ... وهم يرفعون عناقيد العنب الذهبية في أيديهم ويصيحون :

ـــ يا عنب الخليل ... يا عنب ...

كانت بئر السبع على مرمى عنقود من العنب ، وكانت يافا على مرمى عنقودين ... وكانت غزة على مرمى ثلاثة عناقيد ... اما الان ... اما الان ...

كان يحس بصراخ دماء الفلاحين ... وكأنهم كانوا ينادون على بئر السبع وغـــزة ويافا ...

ولاول مرة بدأ « باجس أبو عطوان » يحب الجغرافيا ، فكان حينما يمضي الـــى بيته ، في خربة العقبة ، كان يفتح المصور الجغرافي ... على خارطة فلسطين ... ويضع أصبعه على يافا وبئر السبع ... وغزة ... وعرف لاول مرة ، مأساة الفلاحين الجغرافية ... انهم لا يستطيعون ان يقفزوا في الهواء ... لكي يصلوا ... الى تلك المدن ، التي كانوا يصلـــون اليها « بالباصات » او « التركـــات » ، او حتى ظهـــور الحمير ...

ان عنقود العنب ، ليس هو بساط الريح ...

أجل يا باجس أبو عطوان ، ليس هو بساط الريح ، وليس هو طائـــر الرخ ... وعليك ان تبدأ البحث ... عن وسيلة جديدة للاتصال ...

ها قد بدأ الفلاحون ، يعلمونه دروس الجغرافيا ... وبدأ « باجس أبو عطوان » ، يحب الخارطة ... وبدأ يكتشف أشياء جديدة ...

طول ايام الدراسة ، كان يقرأ ، ان القدس ، هي عاصمة فلسطين ... اما الان فقد أصبحت عمان هي العاصمة ... وفوق الخارطة ... امتد خط أسود ... أكثر سوادا من جناح الغراب ... وبواسطة ذلك الخط ... لم تعد القدس في خـــارطة فلسطين ... لقد أصبحت في خارطة ذلك الشيء الذي اسمـــه : المملكة الاردنيـــة الهاشمية ...

ـــ كيف حدث هذا ...؟

ان الكتب التي بين يديه ، لا تقول له كيف حدث هذا ...؟ لا الكتـــب المدرسية ولا الخارطة ... تستطيع أن تقول له ، كيف تحولت القدس ، من مدينـــة من الدرجـــة الاولى ، الى مدينة من الدرجة الثانية ...؟

أين تعثر على الجواب ، يا « باجس أبو عطوان » ...؟

وظل يسأل نفسه ... الى أن جاء يوم ... ، وأجابه على سؤاله ... احد رعـــاة الغنم ... فاحساس ذلك الراعي بالارض وبجغرافية الارض ، كان مثل احســـاسه كانت المراعي تمتد امامه ... وكان اينما ترامى العشب ... كان يمضي اليه ... اما الان ... فهنالك للمرة الثانية ، تم رسم ذلك الخط الاسود ... فوق الارض ، كمـــا تم رسمه فوق الخارطة ...

كان راعي الغنم ... صديق « باجس أبو عطوان » ، وصديق كل التلامذة ... في القرى والخرب ... وكان حلم حياته ... ان يتمكن ذات يوم ، من شراء « راديـــو